المشانق فى سورية ـ شنق الزهراوى

جاء فى جريدة الأهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت المقدمات التى يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم فى دمشق أمام المجلس العسكرى فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الأسى عليه شنق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائرى ابن الأمير عبد القادر وشفيق بك المؤيد من أكبر رجال سوريه ورشدى بك الشمعة من صفوة أعيانها وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك ومحمد المحمصانى وسليم بك الجزائرى وعبد الغنى العريسى الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابتة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامى وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث فى شؤون طائفة الزهراوى فى سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التى تبين الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذى كان ينتظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم، وأودت بعلمهم وعلمهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت ويما نبت منه قبل أن يزهر ويثمر

فالمسلمون فى سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز فى طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار على أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق ، من شق القصبة ، وضاعف فى ذلك أن المدارس كلها كانت نصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بآداب الأوربيين فحذوا حذوهم وساروا فى العلم سيرتهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة فى الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطلبون إصلاحا ولا يطالبون بحق، وليس المسيحيون وسواهم ممن يتعلمون تأثير أو نفوذ لأنهم الاقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمى سورية بذلك الانعام الذى أنعم به ابراهيم باشا بن محمد على باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم فى مدارس مصر العالية ، وانحصرت تلك النعمة حتى عهد الاحتلال بأبناء المسيحيين السوريين وحدهم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين فى سورية حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبى للآستانه إلى أن زاد احتكاك القوم بالأوربيين ورأوا بأعينهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوه لأبنائهم إما فى مدارس الأجانب فى بلادهم ، وإما فى مدارس الآستانه ، حتى ان بعض طلبة العلوم الدينيه سبقوا إلى ذلك سواهم أو ماشوهم فى هذا السبيل ولكن على غير رغبة الحكومه وإرادتها ، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلماء الاجانب كالشيخ النبهانى الشهير بذم مدارس النصارى .

ومن هؤلاء الطلبه الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوى من أشراف حمص وسلالة بيوتها الكبيرة . بدأ علمه فى بلده وأتمه فى الاستانه ، وتعلم هناك من السفطاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسيه والاجتماعيه ، فكان أول ظهوره برسالة ألفها فى المعتقد الدينى لم نرق فى عيون مشايخ الطرق ، فسعوا به إلى السلطان عبد الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق[1] ولكن الوسطاء توسطوا له — وكان الظلم فى ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم — فتركه حراً ، وأطلقه من كل قيد ، فعاد السيد الزهراوى إلى الاستانه واشترك بالمظاهرة الودية التى قام بها فريق من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انتصار الانكليز على البوير فى الترنسفال ، فلم يغفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لا لانهم هنأوا انكلترا بنصرها ، بل لانهم مثلوا الامة العثمانية والشعب ولم يكن يغضبه أمر كهذا الامر ، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبجيه) حذفوا من قواميس اللغة كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهور) الخ وما شاكل ذلك من الالفاظ ، فصور السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوى من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد الرحمن الكواكبي وكل حر فى تلك البلاد من عربى وتركى وغيرهم

---

١) «المنار» الصواب فى هذه المسألة ما بيناه فى هذا الجزء

ويمتاز الزهراوي وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سوائهم من المصلحين أنهم خير وسيلة بين طوائف الشعب وفرقه فهم يحترمون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في اصلاحهم، فقد كانت طائفة الاصلاحيين في سوريه تهم المشور والنذور وترسلها الى أغاخان في الهند لان معتقدها ومذهبها يقضي عليها بذلك ، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوي الذي كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقاوم الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصادر خزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يجاوز الورق

وكان السيد الزهراوي يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغه والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض ، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شنق في دمشق وهو رفيق من حمص كان قد ترهب ولكنه خلع ثوب الرهبنة وسار على آثار مواطنه بحثة ووحد الاثنان كلمتهما في هذا السبيل فكانهما جسما لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية وكان الزهراوي ككل أديب في بلاده اتحاديا بحتا على مذهب الاتحاديين الاولين الذين نالوا الدستور ، للاتحاد والترقي والفلاح ، ولكن لمذهب أولئك الاتحاديون الاولون ومزق شملهم وخولفت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخروجة شكري أفندي الذي توفي في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالي ، ثم ضمت الفرق كلها وألفتها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والترقي كما كانت هي عهد زعامة صادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية قاعدتها انتفاع البلاد بما يجبى منها من الضرائب وباوكافها فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريز - لانه لم يسمح لهم بعقده في بلاد الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين وعاد الى الآستانة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذي كان أول المشنوقين في سوريا والهادي الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام ، فعين الزهراوي

في مجلس الأعيان إلى أن شنق

ومما امتاز به هؤلاء جميعا شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجنسية العثمانية ، حتى كان الزهراوي يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن تزهق أرواحنا » وله في ذلك مفاضبات شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

نقول هذا لاتأييداً للسيد الزهراوي بل بياناً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها وميول زعمائها الذين ذهبوا جملة لاالجريرة إلا أنهم طلبوا إصلاحا يقيهم البلاء واتقاء مطامع الطامعين في أرضهم و بلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طبارة لما عاد من أوروبا غير منهج سياسته و بعد أن كان يتمحض لذكر المدنية الأوربية أخذ يكتب ويحث أمته على الاقتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لانفقد بلادنا ووطننا الا بالسير على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم ولكن لهذه الطائفة مذاهب ومبادئ إذا بقي في قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجتها خيراً وإلا فقد ذهبت الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسهل إلى حيث يراد منها لا الى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوي إلى مصر وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق رزق سلوم الذي ذكرته الاهرام في كلامها عن السيد الزهراوي أن نقول في نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شنقه وشنق جورج الحداد من شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونابغيهم بتهمة السياسة العربية

﴿ رفيق رزق سلوم المحامي ﴾

نبت هذا الفتى في بيت من أكرم بيوت الروم الارثوذكس في حمص وتلقى التعليم الابتدائي في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل الى دير البلمند بالكورة (لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلق

مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسيه ، وإنما خلق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعيه السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكلية الأمريكيه في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانه بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الاعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسيه منها واختار أن يكون محاميا

كان رفيق مربيا وتلميذا للزهراوي في أفكاره الاجتماعيه ، عاشره فعلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حمص أن في مسلمي البلاد فئة تسعى للاصلاح الوطني سعيا لا شائبة فيه للعصبيات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الآستانة بمساعدة الزهراوي رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العالية وكلهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانتظم في سلك أعضاء المنتدى الأدبي وانتخب وكيلا للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئا في غير مدارس الدولة . فكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مؤثرا ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشاءاً وترجمة وكان يصحح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المهذب بما كان يسقى غرسها في نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على العصبية التركيه ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأه في جرائدهم وكتبهم ، وما يقف عليه من أخبار جمعياتهم ، فكان يقابل غلو متعصبي الترك بجنكيزخان وهلاكو خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الاسلاميه بنظم القصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شنق رفيق رزق سلوم مع السيد الزهراوي واخوانه وأخدانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنبا إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها في الآستانه ، وكان على رأي أستاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقي العرب في حجر الدولة العثمانيه . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنبا عند جمال باشا يقتضي القتل والصلب